

## مختار من الله

### المحاضرة ١: الكل يؤمن بهذه العقيدة

أ.ر. سي. سنبرول

على يقين أنك تعرفون أن أحد المبادئ الموروثة في الولايات المتحدة هو ألا نتكلم في الدين أو السياسة. لكن كلما التقى اثنان منا، يتطرق الحديث تلقائياً إلى مسائل دينية وسياسية. وفي أية مناقشة دينية، في الغالب سريعاً ما يدور الحديث حول أحد عناصر عقيدة التعمين المسبق؛ إحدى العقائد التي تحيرنا، وفي الوقت نفسه تحفز عقولنا. وتشجعنا هذه الحيرة أمام مفهوم التعمين المسبق على الغوص أكثر في علم اللاهوت. فهي من العقائد التي تثير الكثير من الاهتمام والنقاش، والجدل أيضاً.

### تناول الموضوع بحدري:

وحيث نرى تاريخ الدراسات المسيحية، نجد أن كل معلم مسيحي عظيم، وكل لاهوتي أنجبته الكنيسة، تحتم عليه في وقت ما التعرض لموضوع التعمين المسبق. وبالرغم من التباين الكبير في تفسير هذه العقيدة، هناك شيء واحد يتفق عليه أي لاهوتي، وهو ضرورة التعامل مع هذه العقيدة بحدري شديد.

فهو موضوع خطير، لأننا كلما درسناه، نجد أنه يثير أسئلة أكثر من التي يجيبها. وأنا مقتنع أنه من بين كل العقائد التي نواجهها في المسيحية، لا توجد عقيدة محاطة بسوء الفهم والخلط أكثر من عقيدة التعمين السابق. وهذا نفسه يدعونا إلى نوع من الحدري والتعقل في تناول الموضوع.

وأضيف إلى تحذير اللاهوتيين اعتقادي بأن هذه العقيدة تتطلب مزيداً من المحبة في صراعنا معها، ومزيداً من الصبر تجاه بعضنا بعضاً، ومن يخلطون معنا، لأن الكثير حولها على المحك. وقد تتأجج المشاعر ونحن نناقشها، لذا علينا الحرص على إظهار ثمر الروح في وسطنا.

أعلم أن كل ما أقوله لن يفيد بشيء، فبمجرد الغوص في الموضوع، من يعرف ما قد يحدث.

دعوني أقول كمقدمة، وهذا ضروري، إننا سنصرف ست محاضرات في هذا الموضوع. ربّما يبدو هذا الوقت كبيراً بالنسبة لعقيدة واحدة كالتعمين المسبق، لكن أؤكد لكم من البداية أن ست محاضرات، كل منها حوالي نصف ساعة، لن تعرض سوى الفشور. فالعديد من الأمور المتصلة بالموضوع تثار عند دراسة هذه العقيدة، حتى أنني مقتنع أن هذا قد يتطلب دراسة متعمقة تستغرق سنوات وسنوات، حتى ننتهي منها. ولهذا، أعتبر هذه المادة مجرد مقدمة لعقيدة التعمين المسبق.

## الكثير من عقائد التَّعيينِ المُسبقِ:

ظَلَلْتُ أقولُ عقيدةَ التَّعيينِ المُسبقِ، كما لو أنها واحدةٌ، أو كأنَّه لا توجدُ سوى واحدةٍ صحيحةٍ.

هناك مَنْ يُصنِّفونَ العقيدةَ في فئاتٍ، ويسألونَ (في محادثاتٍ مسيحيةٍ): "هل تُؤمنُ بالتَّعيينِ المُسبقِ؟" يُجيبُ البعضُ إمَّا "نعم"، أو "لا"، لا أوَّمنُ بالتَّعيينِ المُسبقِ"، وكأنَّ الكلَّ يفهمُ معناها.

لكنَّ ربَّما يفاجئُكم أنَّ كلَّ طائفةٍ عبَّرَ التاريخِ أعرَفُها قد صاغتْ إقرارَ إيمانٍ يحوي عقيدتها عن التَّعيينِ المُسبقِ. فهناك عقيدةُ تعيينِ مسبقٍ كاثوليكيةٌ، وأخرى لوثريَّةٌ، ومشيخيَّةٌ، وميثوديَّةٌ، وهكذا. فيستلزمُ التوضيحُ من البدايةً بوجودِ الكثيرِ من عقائدِ التَّعيينِ المُسبقِ المُختلفةِ.

لا توجدُ إذنَ عقيدةُ تعيينِ مُسبقٍ واحدةٌ، مع أنَّني أظنُّ أنَّه حينَ يَختَرُها الناسُ إلى عقيدةٍ واحدةٍ، فهمُ يقصدونَ ماذا؟ النسخةُ المشيخيَّةُ، أو ما تُسمَّى عادةً عقيدةُ التَّعيينِ المُسبقِ الكالفينيَّةُ. فيبدو أنَّ جون كالفن والتَّعيينِ المُسبقِ في ثقافتنا مترادفان، وكأنَّ أولَ لاهوتيِّ في التاريخِ تحدَّثَ عن هذه العقيدةِ هو جون كالفن. لكنَّ، سنرى في عرَضنا التاريخيِّ أنَّ هذا غيرُ صحيحٍ.

## كَلِمَةٌ كِتَابِيَّةٌ:

لكنَّ ما سنتناولُه في هذه الدِّراسَةِ هو عقيدةُ التَّعيينِ المُسبقِ الكتابيَّةِ، ونحاولُ إبرازها. لدى الكثيرِ مِنَ الطوائفِ عقائدُ تعيينِ مُسبقٍ لأنَّ الكتابَ المقدَّسَ تحدَّثَ عن التَّعيينِ المُسبقِ، وكلُّ المؤمنينَ الذينَ يتعاملونَ مع الكتابِ المقدَّسِ بشكلٍ جادٍ عليهِمُ تناوُلُ مفهومِ التَّعيينِ المُسبقِ بجديَّةٍ، لأنَّه مفهومٌ وتعليمٌ بارزٌ في العهدِ الجَدِيدِ.

فلنقرأَ بعضَ النُّصوصِ التي تُعرِّضُ فِكرَةَ التَّعيينِ المُسبقِ كي نُعِشَ ذاكرتكم. سأقرأُ الآنَ من أفسس ١: ٣-٥، حيثُ يقولُ بولسُ في تحيَّته الافتتاحيَّة: "مباركُ اللهُ أبُو رَبِّنا يَسوعَ المَسيحِ، الَّذي بارَكنا بِكلِّ بَرَكةٍ رُوحِيَّةٍ في السَّمَاوِيَّاتِ في المَسيحِ، كما اختارنا فيه قَبْلَ تَأْسيْسِ العالَمِ، لِنَكونَ قَدِيسينَ وبِلا لُومٍ قَدَامَهُ في المَحَبَّةِ، إذ سَبَقَ فَعَيَّننا لِلتَّبَيُّبِ بِيَسوعَ المَسيحِ لِنَفسِهِ، حَسَبَ مَسرَّةِ مَشِيئَتِهِ".

وحيثُ نَنقُلُ إلى الآيةِ الحاديةِ عَشْرَةَ نَقْرأُ: "الَّذي فِيهِ أَيْضًا نَلنا نَصيبًا، مُعَيَّنِينَ سَابِقًا حَسَبَ قَصدِ الَّذي يَعمَلُ كُلَّ شَيْءٍ حَسَبَ رَأيِ مَشِيئَتِهِ".

لَيْسَ هَذَا بِالتَّأَكِيدِ هُوَ النَّصُّ الْكِتَابِيُّ الْوَحِيدُ الَّذِي نَجِدُ فِيهِ مَفْهُومَ النَّعْيِينَ الْمُسَبِّقِ، لَكِنِّي قَرَأْتُ النَّصَّ حَتَّى يَرَى الْجَمِيعُ أَنَّ كَلِمَةَ "تَعْيِينٍ مُسَبِّقٍ" كِتَابِيَّةٌ. وَلِأَنَّهَا كِتَابِيَّةٌ، حَاوَلَ جَمِيعُ الدَّارِسِينَ الْمُجْتَهِدِينَ لِلْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ فَهَمَّ مَا يَقْصِدُهُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ بِالتَّعْيِينِ الْإِلَهِيِّ الْمُسَبِّقِ.

### ثَلَاثَةُ مَذَاهِبٍ لَاهُوتِيَّةٍ أَسَاسِيَّةٍ:

قَبْلَ أَنْ نَتَمَعَّنَ فِي هَذَا، دَعَوْنِي أَدِّمُ الْمَزِيدَ مِنَ الْخَلْفِيَّاتِ التَّارِيخِيَّةِ. تَكُنُّرُ الْمَذَاهِبِ الْلاهُوتِيَّةِ فِي تَارِيخِ الْكَنِيسَةِ بِعَدَدِ الطَّوَائِفِ. لَكِنِ، يُمَكِّنُ أَنْ نَقُولَ إِنَّهُ تَوْجَدُ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ أَسَاسِيَّةٍ وَعَامَّةٍ مِنَ الْمَذَاهِبِ الْلاهُوتِيَّةِ فِي التَّارِيخِ. يُقْسِمُهَا الْلاهُوتِيُّونَ إِلَى: الْبِيلاجِيَّةِ، وَشِبْهِ الْبِيلاجِيَّةِ، وَالْأَوْغُسْطِينِيَّةِ.

يَعُودُ هَذَا التَّقْسِيمُ الثَّلَاثِيُّ إِلَى الْقَرْنِ الرَّابِعِ الْمِيلَادِيِّ، حِينَ خَاصَتْ الْكَنِيسَةُ صِرَاعَاتٍ ضَارِيَّةً حَوْلَ الْكَثِيرِ مِنَ الْقَضَايَا الْلاهُوتِيَّةِ الْمُهِمَّةِ.

وَالشَّخْصُ الَّذِي كَانَ مَعْرُوفًا، وَالَّذِي يُوصَفُ بِأَنَّهُ أَعْظَمُ لَاهُوتِيٍّ، عَلَى الْأَقْلِ فِي الْأَلْفِ سَنَةِ الْأُولَى مِنَ التَّارِيخِ الْمَسِيحِيِّ، إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي كُلِّ التَّارِيخِ الْمَسِيحِيِّ، مَنْ دَافَعَ عَنِ الْإِيمَانِ فِي تِلْكَ الْفَتْرَةِ، هُوَ قِطْعًا الْقَدِيسُ أَوْغُسْطِينُوسُ. وَكَانَ خَصْمُهُ الرَّئِيسِيُّ فِي الْعَدِيدِ مِنَ الْجِدَالَاتِ فِي تِلْكَ الْفَتْرَةِ رَاهِبًا يُدْعَى بِيلاجِيُوسُ.

وَمِنَ الْمَوْضُوعَاتِ الْمُهِمَّةِ الَّتِي تَجَادَلَا حَوْلَهَا هُوَ مَدَى أُهُمِّيَّةِ أَوْ ضَرُورَةِ نِعْمَةِ اللَّهِ فِي خِلَاصِ الْإِنْسَانِ. رَأَى بِيلاجِيُوسُ أَنَّ نِعْمَةَ اللَّهِ تُسَاعِدُ الْبَشَرَ عَلَى الْخِلَاصِ، لَكِنَّهَا غَيْرُ ضَرُورِيَّةٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ. وَكَانَ افْتِرَاضُهُ الْأَسَاسِيُّ أَنَّ الْإِنْسَانَ الطَّبِيعِيَّ لَدَيْهِ الْقُدْرَةُ عَلَى حِفْظِ وَصَايَا اللَّهِ لِدَرَجَةِ نَيْلِ الْفِدَاءِ، دُونَ أَيِّ عَوْنٍ مِنَ نِعْمَةِ اللَّهِ.

بَيْنَمَا أَوْغُسْطِينُوسُ شَدَّدَ عَلَى اتِّكَالِ الْخَاطِئِ السَّاقِطِ الْمَطْلُوقِ عَلَى نِعْمَةِ اللَّهِ لِأَجْلِ خِلَاصِهِ، وَرَفَضَ الْبِيلاجِيَّةَ، بِصِفَتِهَا نَسَخَةً أَقْدَمَ مِنَ الْمَذَهَبِ الْإِنْسَانِيِّ. وَلَمْ تُعْتَبَرِ الْبِيلاجِيَّةُ أَحَدَ مَذَاهِبِ الْفِكْرِ الْمَسِيحِيِّ فَحَسَبٍ، بَلْ دُونَ الْمَسِيحِيَّةِ، وَلَا تَسْتَحِقُّ أَنْ تُحْسَبَ مَسِيحِيَّةً.

بِقَوْلِي إِنَّهُ يُوجَدُ ثَلَاثَةُ فُرُوعٍ رَئِيسِيَّةٍ وَعَامَّةٍ مِنَ الْفِكْرِ الْلاهُوتِيِّ فِي الْكَنِيسَةِ عَبْرَ التَّارِيخِ وَأَثَّرَتْ فِيهَا، فَأَنَا أَتَّفِقُ مَعَ هَذَا التَّقْسِيمِ. أَنَا لَمْ أَبْتَدِعْ هَذَا التَّقْسِيمَ، بَلْ أَتَّفِقُ فَقَطُ مَعَهُ.

فَأَرَى أَنَّ الْبِيلاجِيَّةَ هِيَ أُمُّ الْبِيبرَالِيَّةِ، فَقَدْ ظَهَرَتْ السُّوسِينِيَانِيَّةُ فِي الْقَرْنِ السَّادِسِ عَشَرَ، وَالْبِيبرَالِيَّةُ فِي الْقَرْنِ التَّاسِعِ عَشَرَ. وَمِمَّا أَتَّفِقُ تَعْرِفُونِي، فَأَنَا أَرَى الْبِيلاجِيَّةَ غَيْرَ مَسِيحِيَّةٍ، وَضِدَّهَا، وَلَيْسَتْ خِيَارًا أَمَامَ أَيِّ مُفَكِّرٍ مَسِيحِيٍّ.

أما المُجادلاتُ في الكنيِسةِ بينَ شبهِ البيلاجيَّةِ والأوغسطينيَّةِ، والتي ظَهَرَتْ لاحقًا في القَرْنِ السَّادِسِ عَشَرَ في جدلِ بَيْنَ الرِّمُونِسْتْرَانْتِيَّينَ والكالفِينيَّينَ، والميُوثِدِيَّينَ وَغَيْرِهِمْ، فَهَذِهِ أَعْتَبَرُهَا مُجادلاتٍ داخلِ دائِرَةِ الإيْمَانِ.

### الجدلُ الأساسيُّ:

تَقُولُ شبهُ البيلاجيَّةِ إِنَّ الإنسانَ لا يُمكنُ أن يَخْلُصَ دونَ نِعْمَةِ اللهِ، لَكِنْ عَلَيْهِ أَنْ يَفْعَلَ شَيْئًا، حَتَّى في حالتهِ السَّاقِطَةِ، بأن يتعاونَ مَعَ نِعْمَةِ اللهِ ويقبلها، حَتَّى يَخْلُصَهُ اللهُ. يعني هذا أَنَّهُ لا خلاصَ دونَ النِّعْمَةِ، لَكِنْ يَبْقَى على الإنسانِ، في النِّهايةِ، إمَّا أن يتعاونَ مَعَ نِعْمَةِ اللهِ أو يرفضها، وهذا هُوَ ما يُحدِّدُ إِنْ كانَ سيَخْلُصُ أم لا.

تقولُ الأوغسطينيَّةُ إِنَّ الإنسانَ ساقطٌ تمامًا لِدرَجَةِ أَنَّهُ يِعْتَمِدُ كَلِيًّا على نِعْمَةِ اللهِ، حَتَّى في استجابتهِ الأولى لِلإنجيلِ، وتعاونِهِ وقبولِهِ لِإنجيلِ المَسِيحِ مِنَ الأساسِ.

تزوَنَ مِنَ البِدَايَةِ أَنَّ أَصلَ الجدلِ يعودُ إلى قُدْرَةِ الإنسانِ على الاستجابةِ لِلإنجيلِ في حالتهِ السَّاقِطَةِ. يُمكنُ أَنْ أَقولَ في بَدَايَةِ أيِّ دراسةٍ للتَّعيينِ المُسَبِّقِ إِنَّ وراءَ الكواليسِ يوجَدُ دائِمًا هذا الجدلُ الأساسيُّ بينَ شبهِ البيلاجيَّينَ والأوغسطينيَّينَ.

أيضًا لا بُدَّ أن أنبِّهَكُم مِنَ البِدَايَةِ أَنِّي أَنبِئُ الرِّأْيَ الأوغسطينيَّي عَنِ التَّعيينِ المُسَبِّقِ، وسَأَعْرِضُهُ لَكُم في هَذِهِ المُحَاضِرَاتِ. سَأَشْرَحُهُ، وَأَتَوَلَّى تَوْضِيحَ سِوَةِ الفَهمِ الكَبِيرِ حَوْلَهُ، والإجابةَ عَنِ اعتراضاتِ الإخوةِ والأخواتِ شبهِ البيلاجيَّينَ عليه، وسَأُبرهنُ أمامَكُم أَنَّ الرِّأْيَ الأوغسطينيَّي هو الرِّأْيَ البُولِسيَّي، وبِالتَّالِي الكِتَابِيَّي، وبِالتَّالِي الصَّحِيحُ.

لَكِنْ بِالتَّأكِيدِ، لا يُؤْمِنُ الكُلُّ بِهَذَا الرِّأْيِ، أو يَتَّفِقُ مَعَهُ، وَاعْتَقِدُ، مَرَّةً أُخْرَى، أَنَّنَا لا بُدَّ أن نَكُونَ أَمْناءَ مِنَ البِدَايَةِ، وَنَعْتَرِفَ أَنَّ بَعْضَ أَهَمِّ القَادَةِ المَسِيحِيَّينَ الَّذِينَ كانَ لَهُمْ تَأثيرٌ ضَخْمٌ في مَلَكُوتِ اللهِ لَمْ يَتَّبِعُوا الرِّأْيَ الذي سَأُقَدِّمُهُ هُنَا.

### الجدولُ: الأوغسطينيُّون

دَعَوْنِي أرسُمُ لَكُم هذا الجدولَ، وأحاولُ أن أَكونَ مُنصِفًا، وواسِعَ الأُفقِ. سَأَضَعُ في هذا الجانِبِ لاهوتِيَّينَ في تاريخِ الكنيِسةِ بحسبِ رأْيي يَقَعُونَ ضمنَ مُعسَكِرِ الرِّأْيِ الأوغسطينيَّي في عقيدةِ التَّعيينِ المُسَبِّقِ. نُمُّ لأوازِنَ الأَمْرَ، سأحاولُ ذِكْرَ أسماءِ اللاهوتِيَّينَ الَّذِينَ يَقَعُونَ على الجانِبِ الأَخرِ.

سَتَرى الآنَ الجانِبَ المُؤيِّدَ لِلرِّأْيِ الأوغسطينيَّي. تَذَكَّرُوا أَنَّنَا لَمْ نَعْرِفْ هذا الرِّأْيَ بعد، بل فقط نَعْرِضُ خَلْفِيَّةً، وَسَنَتعمَّقُ لاحقًا في تَعْرِيفِهِ.

مَنْ بَيْنَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ أَوْغُسْطِينُوسَ فِي عَقِيدَةِ التَّعْيِينِ الْمُسَبِّقِ، رَبَّمَا يَفْاجِئُكُمْ هَذَا، بَلْ وَقَدْ تَعْتَرِضُونَ. لِنَضْعُ أَوْلًا أَوْغُسْطِينُوسَ نَفْسَهُ، لِأَنَّهُ آمَنَ بِمَا عَلَّمَهُ. سَنَضْعُ أَوْغُسْطِينُوسَ فِي أَعْلَى الْقَائِمَةِ.

ثُمَّ رَبَّمَا يَأْتِي أَبْرَزُ تَلَامِيذِ أَوْغُسْطِينُوسِ، فِي اللاهوتِ بَوَجْهِ عَامٍّ، وَفِي هَذِهِ الْعَقَائِدِ بَوَجْهِ خَاصٍّ، بِحَسَبِ رَأْيِي، فِي هَذَا الْجَانِبِ، وَهُوَ الْقَدِيسُ توما الأكويني.

أَكَادُ أَسْمَعُ الْآنَ فَرَانْسِيْسَ شِيْفِرِ يَضْرُخُ فِي وَجْهِ مِنَ السَّمَاءِ لِأَنَّهُ بِالتَّأَكِيدِ لَنْ يَنْتَقِ مَعِي عَلَى انْتِمَاءِ الأكويني لِهَذِهِ الْفِئَةِ. لَكِنْ تَذَكَّرُوا أَنَّ الأكوينيَّ نَفْسَهُ قَالَ إِنَّهُ مَدِيُونٌ لِأَوْغُسْطِينُوسَ أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ لاهوتِيٍّ آخَرَ فِي تَارِيخِ الكَنِيسَةِ. لَكِنْ لِأَنَّ الْقَدِيسَ توما الأكويني هُوَ اللاهوتيُّ الأَبْرَزُ لِلكَنِيسَةِ الكاثوليكيَّةِ، وَلِأَنَّ اللاهوتَ الكاثوليكيَّ المعاصرَ يَرْفُضُ الرَّأْيَ الأَوْغُسْطِينِيَّ عَنِ التَّعْيِينِ الْمُسَبِّقِ، يَفْتَرِضُ البروتستانتُ أَنَّ توما الأكويني أَيْضًا يَرْفُضُهُ. لَكُمْ الْحَرِيَّةُ أَنْ تَعْتَرِضُوا. سَأَتْرَكُ هَذَا مَفْتُوحًا لِلنِّقَاشِ.

التالي، لا جدالَ عليه، وَيَقَعُ قَطْعًا بِجَانِبِ أَوْغُسْطِينُوسِ، وَهُوَ مُصْلِحُ الْمُصْلِحِينَ، وَأَكْثَرُ شَخْصٍ رَكَّزَ عَلَى التَّعْيِينِ الْمُسَبِّقِ فِي الْقَرْنِ السَّادِسَ عَشَرَ، فِي عَصْرِ الإِصْلَاحِ. مَنْ هُوَ؟ لا، لَيْسَ جون كالفن. كَانَ جون كالفن شريكَهُ الأَصْغَرَ. أَكْثَرُ مَنْ دَافَعَ عَنِ الرَّأْيِ الأَوْغُسْطِينِيَّ عَنِ التَّعْيِينِ الْمُسَبِّقِ بِكُلِّ إِصْرَارٍ هُوَ مَارْتِنُ لُوتْرُ.

قَدْ يَفْاجِئُكُمْ هَذَا لِأَنَّهُ فِي الْعَصْرِ الْحَالِي، تَتَعَارَضُ اللُّوثِرِيَّةُ مَعَ الْمَشِيخِيَّةِ فِي هَذِهِ الْعَقِيدَةِ بِالذَّاتِ. هَذَا بِسَبَبِ انْعِطَافِ بَسِيطِ فِي تَارِيخِ الكَنِيسَةِ، فَعَقِبَ مَوْتِ لُوتْرُ، سَلَكَ الْكِيَانُ اللُّوثِرِيُّ، بِقِيَادَةِ فِيلِيْبِ مِيلَانْكُونِ، مُنْعَطَفًا آخَرَ، وَلَمْ يَتَّبِعُوا مَارْتِنَ لُوتْرُ فِي رَأْيِهِ عَنِ التَّعْيِينِ الْمُسَبِّقِ.

لَكِنْ أَعْتَقْدُ أَنَّنَا يُمَكِّنُ أَنْ نَقُولَ إِنَّ لُوتْرُ كَتَبَ عَنِ التَّعْيِينِ الْمُسَبِّقِ أَكْثَرَ مِمَّا كَانَ كَالْفِنِ يَحْلُمُ أَنْ يَكْتُبَ، وَلَا شَيْءَ عَلَّمَهُ جون كالفن عَنِ هَذِهِ الْعَقِيدَةِ لَمْ يُعَلِّمَهُ لُوتْرُ أَوْلًا، وَأَوْسَعَ نِطَاقًا.

وَالآنَ، نَسْتَطِيعُ وَضْعَ كَالْفِنِ هُنَا - جون كالفن. ثُمَّ أَسْتَطِيعُ إِضَافَةَ جُونَاثَانَ إِدواردز.

تَذَكَّرُوا أَنَّنَا سَنَكُونُ أَمْنَاءَ وَمُنْصِفِينَ وَمُنْفَتِحِينَ. إِنْ سَأَلْنِي أَحَدٌ: "فِي رَأْيِكَ، مَنْ هُمْ أَعْظَمُ خَمْسَةِ لاهوتِيِّينَ عَلَى الإِطْلَاقِ؟" لَنْ أَجِدَ صَعُوبَةً أَنْ أُجِيبَ. فَهَمْ: أَوْغُسْطِينُوسِ، وَالْأُكُوِينِي، وَلُوتْرُ، وَكَالْفِنِ، وَإِدْوَارْدَز. هُمْ مُنْقَدِّمُونَ كَثِيرًا عَنِ الْخَمْسَةِ الَّذِينَ بَعْدَهُمْ، أَيَّا كَانُوا.

بِقَدْرِ مَا قَدْ يَبْدُو هَذَا تَحِيْرًا، لَكِنْ رَبِّمَا يُمَكِّنُ أَنْ نَقُولَ إِنَّنا إِنْ سَأَلْنَا مِئَةَ لاهوتِيٍّ مِنْ طوائِفِ مُخْتَلِفَةٍ مَنْ هُمْ أَعْظَمُ عَشْرَةَ لاهوتِيَّيْنَ فِي التَّارِيخِ، سَيَذْكَرُ ٩٨ (ثَمَانِيَّةً وَتِسْعُونَ) مِنْهُمْ عَلَى الْأَقْلِ هَوْلَاءِ الْخَمْسَةِ ضِمْنَ الْعَشْرَةِ. فَبِإِقْرَارِ عَامٍّ، هَوْلَاءِ خَمْسَةُ عَمَالِقَةٍ فِي الْإِيمَانِ الْمَسِيحِيِّ.

وَإِنْ اتَّفَقَ جَمِيعُهُمْ عَلَى الرَّأْيِ الْأَوْغُسْطِينِيِّ عَنِ التَّعْيِينِ الْمُسَبِّقِ، فَهَلْ يَعْنِي هَذَا أَنَّهُ الرَّأْيُ الصَّحِيحُ؟ بِالطَّبَعِ لَا، لِأَنَّ هَوْلَاءِ الْخَمْسَةِ قَدْ اخْتَلَفُوا مَعًا فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ، وَاتَّفَقُوا فِي هَذِهِ الْعَقِيدَةِ بِالتَّحْدِيدِ لَا يَضْمَنُ صِحَّةَ رَأْيِهِمْ. لَسْنَا نُوَيِّدُ عِصْمَةَ التَّقْلِيدِ الْبَشَرِيِّ، أَوْ عِصْمَةَ أَوْغُسْطِينُوسَ، أَوْ الْأَكْوِينِيَّ، أَوْ لوثِرَ، أَوْ كالفنَّ، أَوْ إدواردزَ مِنَ الْخَطِّاءِ. لَكِنْ أَقُولُ إِنَّهُ حِينَ يَتَّفِقُ هَوْلَاءِ الْخَمْسَةِ عَلَى شَيْءٍ، فَهَذَا يَلْفِتُ انْتِبَاهِي. وَقَدْ قُلْتُ هَذَا لِأَنَّهُ كَثِيرًا مَا يُرْفَضُ مَا يُسَمَّى "بِالرَّأْيِ الْمُصْلِحِ" عَنِ التَّعْيِينِ الْمُسَبِّقِ بِكُلِّ سَهولَةٍ، وَيُحَسَبُ انْحِرَافًا كَالْفِينِيَّا فَرِيدًا فِي تَارِيخِ الْكَنِيسَةِ، وَهَذَا غَيْرُ صَحِيحٍ تَارِيخِيًّا.

### الجدول: غير الأوغسطينيين

لِنَنْظُرِ الْآنَ عَلَى الْجَانِبِ الْآخَرَ، لِنَرَى الْلاهوتِيَّيْنَ الْعُظَمَاءَ الْواقِفِينَ عَلَيْهِ، أَمْثَالَ بِيلاجيوسَ، وإبرازموسَ، وفيني، ويسلي، وأرمينيوس. هَذِهِ أَسْمَاءُ بَارِزَةٌ فِي تَارِيخِ الْكَنِيسَةِ.

أَسْمَعُ الْآنَ شَخْصًا يَرْفُضُ الرَّأْيَ الْأَوْغُسْطِينِيَّ، يَصْرُخُ مُعْتَرِضًا: "لَيْسَ عَدْلًا أَنْ تَضَعَ هَوْلَاءِ الْخَمْسَةِ فِي مُقَابِلِ الْخَمْسَةِ الْآخَرِينَ!" أَنَا مُسْتَعِدٌّ أَنْ أَكْتُبَ آخَرِينَ إِنْ أُعْطِيتِي أَسْمَاءَ بَعْضِ الْلاهوتِيَّيْنَ الْعُظَمَاءِ الَّذِينَ تَبَنَوْا الرَّأْيَ الْآخَرَ. ضَعُوا فِي اعْتِبَارِكُمْ أَيْضًا أَنَّ الْغَالِبِيَّةَ الْعُظْمَى مِنَ الْمَسِيحِيِّيْنَ الْإِنْجِيلِيِّيْنَ فِي الْعَالَمِ الْيَوْمَ يَقَعُونَ فِي هَذَا الْجَانِبِ. وَهَذَا الْجَانِبُ يُمَثِّلُ أَقْلِيَّةً فِي الْمَشْهَدِ الْمُعَاصِرِ.

لَكِنْ مَا يُذْهَلُنِي أَنَّهُ مِنْ حَيْثُ قُوَّةِ الدِّرَاسَاتِ الْلاهوتِيَّةِ، لَنْ تَجِدَ الْعَمَالِقَةَ هُنَاكَ، بَلْ هُنَا. لَكِنْ إِنْ نَظَرْنَا إِلَى الْمَشْهَدِ الْمُعَاصِرِ، رَبِّمَا يَخْتَلِفُ الْأَمْرُ.

### المشهد المعاصر:

مِنْ مُؤَيِّدِي الرَّأْيِ الْأَوْغُسْطِينِيِّ الْيَوْمَ، رَبِّمَا نَضَعُ - لَنْ أَصْرِفَ الْوَقْتَ فِي الْكِتَابَةِ - رَبِّمَا نَضَعُ فَرَانْسِيْسَ شِيْفِرَ، وَجُورْدُونَ كَلَارِكَ، وَكُورْنِيلْيُوسَ فَا ن تِيلَ، وَجَمِيعَ الْلاهوتِيَّيْنَ الْمَشِيخِيِّيْنَ، بِالْإِضَافَةِ إِلَى بَعْضِ الْأَنْجِيلِيكَانِ وَالْأُسْقُفِيِّيْنَ مِثْلَ جِي. آي. بَاكِرَ، وَرُوجِيَه نيكولَ (الْمَعْمَدَانِيَّ بِالطَّبَعِ).

على الجانب الآخر، من بين من لا يؤمنون بالرأي الأوغسطيني كلازك بينوك، وجون وارويك مونجامري، ونورمان جاسلير من كلية دالاس لللاهوت. وهناك بعض من أروع القادة في العالم الإنجيلي المعاصر - بيلي جراهام، مع أنه ليس لاهوتيًا، لكنه قائد مسيحي مؤثر، يقع على الجانب غير الأوغسطيني، لكن اعتقد أن زوجته روث تقع في الجانب الآخر.

على أية حال، كل ما أحاول قوله إن المؤمنين منقسمون، وأريد أن ألفت انتباهكم إلى أنه إن عارض أحدهم الرأي الأوغسطيني عن التعيين المسبق، ففي ضوء معلمي الكنيسة الذين تبثوه، اعتقد أننا بحاجة إلى دراسته بجدية، قبل رفضه. اعتقد أن هؤلاء يطالبوننا باحترام يكفي لسماح ما حاولوا أن يعلموه للكنيسة في هذا الأمر.

### التعيين المسبق والخلاص:

حسنًا، فلنذكر سريعًا بعض التعريفات. تتكون كلمة التعيين المسبق في اللغة الإنجليزية predestination من بادئة وجذر. البادئة "pre" تعني "قبل"، ونعرف جيدًا كلمة "destination" أي "وجهة".

جاء كثير منكم هذا الأسبوع إلى ليجونير لأنها كانت وجهتكم، أي المكان الذي أنتم ذاهبون إليه. كلما حجزت رحلة مع وكيل سفريات، سيطلب أن يعرف وجهتك، أي إلى أين ستجّه وتصل؟

حين نتحدث عن عقيدة التعيين المسبق، لسنا نَقصدُ إن كان الله هو من تسبب بشكل مباشر في حادث السيارة أم لا، أو إن كان مقدرًا لك أن تجلس على هذا الكرسي أم لا.

لكن هذه العقيدة تتعلق بالأخص بوجهتنا الأخيرة. توجد وجهتان فقط للبشر - السماء أو الجحيم، أي أن نكون مُخلصين أو مُدانين.

لا تتعلق عقيدة التعيين المسبق الأساسية بما إذا كان من المعين مسبقًا أن أُلقي بالطبشور على الأرض أم لا. يندرج هذا تحت موضوع العناية الإلهية. هذه الأسئلة مشروعة في علم اللاهوت - إلى أي حد يتدخل سلطان الله في حياتنا اليومية.

لكن عقيدة التعيين المسبق الأساسية تتعلق بالخلاص، وبشيء يحدث قبل وصولنا إلى تلك الوجهة. فهي تتعلق بدور الله في المصير النهائي لحياتنا.

## جوهر القضية:

رُبَّمَا يُفَاجِئُكُمْ هَذَا. يَتَّفِقُ كُلُّ مِنَ الْأَوْغُسْطِينِيِّينَ وَشِبْهِ الْبِيلاجِيِّينَ مَعًا عَلَى أَنَّ التَّعْيِينَ الْمُسَبِّقَ هُوَ عَمَلُ اللَّهِ. فَهُوَ مُرْتَبِطٌ بِاخْتِيَارِ اللَّهِ لِلْخَلَاصِ، أَيْ خَلَاصِ الْبَشَرِ.

رُبَّمَا يُفَاجِئُكُمْ أَيْضًا أَنَّ كِلَا الطَّرْفَيْنِ يَتَّفِقَانِ عَلَى أَنَّ اللَّهَ هُوَ مَنْ يَخْتَارُ وَجْهَتَنَا النِّهَائِيَّةَ قَبْلَ أَنْ نُولَدَ، بَلْ قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، كَمَا قَرَأْنَا فِي رِسَالَةِ أَفْسُسِ ١: ٣-٥ أَنَّهُ اخْتَارَ الْبَعْضَ قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ. قَدْ يُفَاجِئُكُمْ هَذَا. فَقَدْ آمَنَ جُونُ وَيْسَلِي بِهَذَا، وَفِيلِيْبُ مِيلَانْكُثُونُ أَيْضًا (كُنْتُ أَوْدُ أَنْ أُضْمَّ فِيلِيْبُ مِيلَانْكُثُونُ لِلْقَائِمَةِ السَّابِقَةِ).

عَلَى أَيْةٍ حَالٍ، تَقَعُ نُقْطَةُ الْخِلَافِ فِي مَسْأَلَةِ حَيَوِيَّةٍ، وَهِيَ: عَلَى أَيِّ أُسَاسٍ يَخْتَارُ اللَّهُ أَنْ يَخْلِصَكَ مِنْ قَبْلِ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ؟

هَلِ اخْتِيَارُ اللَّهِ بِأَنْ يَخْلِصَكَ مُؤَسَّسٌ عَلَى سَابِقِ مَعْرِفَتِهِ بِشَيْءٍ رَأَى أَنَّكَ سَتَفْعَلُهُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ؟ فَحِينَ نَظَرَ اللَّهُ إِلَى الْمُسْتَقْبَلِ، هَلِ عَرَفَ، مَثَلًا، أَنَّ "دِيكَ" سَيَقْبَلُ الْإِنْجِيلَ، وَيَخْتَارُ الْمَسِيحَ حِينَ تُتَّاحُ لَهُ الْفُرْصَةُ؟ وَحِينَ عَرَفَ أَنَّهُ سَيَخْتَارُ الْمَسِيحَ، اخْتَارَهُ لِلْخَلَاصِ؟ فَقَدْ أُسِّسَ اخْتِيَارُهُ عَلَى سَابِقِ مَعْرِفَتِهِ بِقَرَارِ دِيكَ. هَلِ هَذَا وَاضِحٌ؟ إِذَنْ، يَخْتَارُكَ اللَّهُ لِلْخَلَاصِ، لَكِنَّهُ يَخْتَارُكَ بِسَبَبِ شَيْءٍ رَأَهُ مُسَبِّقًا فِي حَيَاتِكَ.

عَلَى النِّقِيزِ، يَقُولُ الرَّأْيُ الْأَوْغُسْطِينِيُّ إِنَّ مَا يَرَاهُ اللَّهُ مُسَبِّقًا فِي حَيَاتِكَ لَيْسَتْ لَهُ صِلَةٌ بِاخْتِيَارِهِ لَكَ، بَلْ هَذَا الْاِخْتِيَارُ هُوَ بِحَسَبِ مَسْرَّةِ مَشِيئَتِهِ، دُونَ أَدْنَى اعْتِبَارٍ لَشَيْءٍ قَدْ تَفَعَّلَهُ أَوْ لَا تَفَعَّلَهُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ.

هَذَا هُوَ جَوْهَرُ الْقَضِيَّةِ، إِنْ كَانَ الْاِخْتِيَارُ مُتَوَقِّعًا أَمْ لَا عَلَى رَدِّ فِعْلِكَ تَجَاهَ الْكَرَازَةِ بِالْإِنْجِيلِ.

هَنَّاكَ أَشْيَاءٌ أُخْرَى مُشْتَرِكَةٌ بَيْنَنَا، وَكَمَا نَتَّفِقُ فِي بَعْضِ الْأَفْكَارِ، نَخْتَلِفُ فِي غَيْرِهَا. فَأَوَّلُ مَا يَتَّفِقُ عَلَيْهِ كُلُّ مُؤْمِنٍ هُوَ أَنَّ الْإِلَهَ الَّذِي نَعْبُدُهُ كَلِيُّ السِّيَادَةِ. لَكِنَّ كَيْفِيَّةَ ظُهُورِ هَذِهِ السِّيَادَةِ فِي الْخَلَاصِ هُوَ مَا نَخْتَلِفُ عَلَيْهِ. وَفِي الْمَحَاضِرَةِ التَّالِيَةِ، سَنَتَنَاوَلُ مَفْهُومَ سِيَادَةِ اللَّهِ.

الدكتور أ. سي. سبزل هو مؤسس هيئة خدمات ليجونير، وكان أحد رعاة كنيسة القديس أندرو (St. Andrews Chapel) في مدينة سانفورد بولاية فلوريدا، كما كان أول رئيس لكلية الكتاب المقدس للإصلاح (Reformation Bible College). وهو ألف أكثر من مائة كتاب، بما في ذلك "كلنا لاهوتيون" (Everyone's a Theologian).



تمَّ نشرُ هذه المحاضرة في الأصل في مَوْقِعِ [ليجونير](#).